الدورة التربوية للقرآن الكريم وخطابه المتجدد

(دورة نونبر 2006)

المنظمة من طرف

المعهـد العالمي للفكر الإسلامي
والمركز المغربي للدراسات والأبحاث الإسلامية

موضوع البحث

القراءات القـرآنيـة

إعداد الطالب الباحث
محمـد بـووانـو

بِسْـــــمِ اللَّــهِ الرَّحْمَــنِ الرَّحِيمِ

لقد كان الاهتمام بكتاب الله منذ نزوله على رسول الله ﷺ، قراءة وحفظاً ومدارسة. وقد توالت الدراسات القرآنية، وكثرت مدارسها، وتعددت مؤلفاتها، وغير ذلك. والقراءات القرآنية من أهم المواضيع التي يتزايد الاهتمام بها على مدى التاريخ الإسلامي سواء على المستوى النظري أو المستوى التطبيقي العملي.

مفهوم القراءات القرآنية :

من المعلوم أنه إذا كان اسم الفن مركباً من كلمات فإنه من الواجب تعريف كل كلمة على حدة ثم يُعَرف الاسم المركب كاملاً. فجملة "القراءات القرآنية " مركبة من كلمتين : (القراءات) و(القرآنية). وهذا التركيب هو تركيب بياني، لأن المركب البياني يتألف من كلمتين، حيث تكون الكلمة الثانية موضحة للأولى. قال الشيخ مصطفى غلاييني :" المركب البياني : كل كلمتين كانت ثانيتهما موضحة معنى الأولى " [1]. وبصفة أخص إن الجملة مركب وصفي، يتألف من الصفة (القراءات : جمع قراءة) والموصوف (القرآن). والمقام يقتضي تعريف كل كلمة وحدها ثم تعريفهما معاً مركبتين.

أولاً : مفهوم القرآن

بالنسبة لتعريف كلمة القرآن في اللغة فإن العلماء بعد اتفاقهم على أنه اسم وليس بفعل ولا حرف اختلفوا هل هو جامد أو مشتق، شأنه شأن الأسماء في العربية إما أن يكون جامداً أو مشتقاً. والمعروف عند النحاة أن الجامد هو الذي لا يَتَصَرَّف مثل كلمة أسد فإن كلمة أسد كلمة جامدة يعني لا يأتي منها فعل ولا اسم فاعل ولا اسم مفعول ونحو ذلك.

فذهب طائفة من العلماء إلى أنه اسم جامد غير مهموز، وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل [2].

وذهب طائفة إلى أن هذا الاسم مشتق ولكن انقسموا إلى فريقين :

* قالت فرقة إن النون أصلية، والاسم مشتق من مادة (ق ر ن). ولكن اختلفوا إلى طائفتين :
  _ فقالت طائفة أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، فسمي بذلك لقران السور والآيات والحروف فيه، ومنه سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران [3].
  _ وقالت طائفة أنه مشتق من القرائن، جمع قرينة، لأن آيات القرآن يشبه بعضها بعضاً [4].

---

[1] جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى غلاييني، الطبعة الرابعة والعشرون 1413 هـ / 1993 م، ج 1 / ص 15.

[2] ذكر السيوطي أن هذا القول مروي عن الشافعي وقرأ به ابن كثير لكنه لم يذكر مصدرهما : الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الثالثة 1405 هـ / 1985 م، دار التراث _ القاهرة، ج 1 / ص 146.

[3] نقله الإمام الزركشي عن بعض العلماء ولكنه لم يذكر المصدر : البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج 1 / ص 278.

[4] هذا القول نسبه الحافظ السيوطي إلى الفرّاء دون أن يذكر المصدر الذي نقل منه : الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الثالثة 1405 هـ / 1985 م، دار التراث _ القاهرة، ج 1 / ص 146.

* وقالت فرقة أن الهمزة أصلية، ثم افترقوا أيضاً إلى طائفتين :

_ فقالت طائفة أن القرآن مصدر مهموز على وزن غفران، مشتق من (قرأ) بمعنى تلا سمي به المقروء تسمية المفعول بالمصدر[1]. وقد جاء استعمال القرآن بهذا المعنى المصدري في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ﴾ [2]، أي أن تقرأه [3].

_ وقالت طائفة أنه وصف على وزن فعلان (مثل غفران وكفران)، وأنه مشتق من القرْء بمعنى الجمع لأن القرآن جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى ببعض [4].

وقد لخص فهد الرومي هذه الأقوال[5] المتعلقة بتعريف القرآن لغة في الرسم التالي :

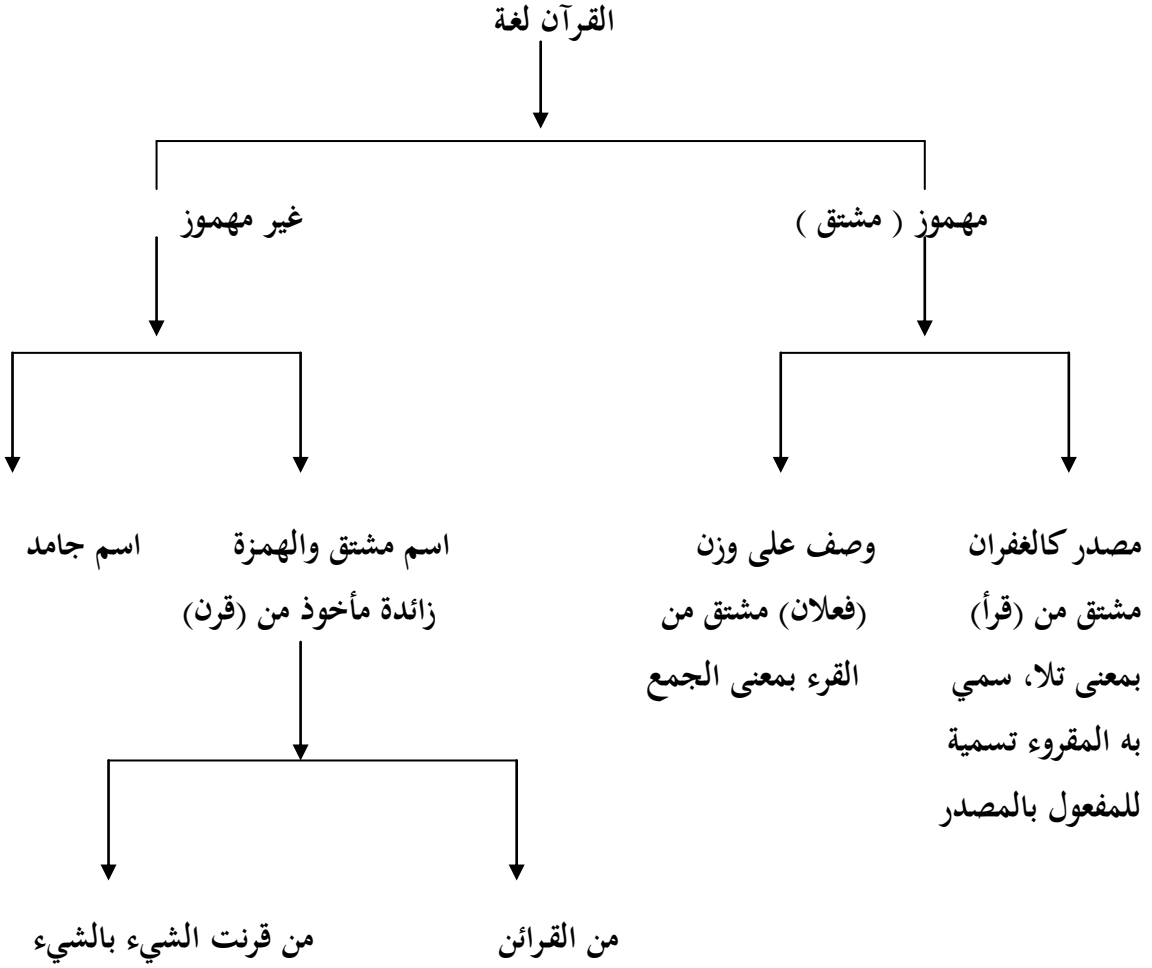

[1] هذا القول نسبه الحافظ السيوطي إلى اللحياني دون أن يذكر المصدر : الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الطبعة الثالثة 1405 هـ / 1985 م، دار التراث _ القاهرة، ج 1 / ص 146.

[2] سورة البقرة، الآية 222..

[3] تفسير ابن كثير، ج 4 / ص 450.

[4] هذا القول نقله الإمام الزركشي عن بعض المتأخرين دون ذكر المصدر: البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله ال4زركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج 1 / ص 277.

[5] دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة التاسعة 1421 هـ / 2000م، ص 20.

ولعل أرجح الأقوال وأقواها في معنى القرآن في اللغة : أنه مصدر مشتق مهموز من قرأ يقرأ قراءة وقرآناً، فهو مصدر كالغفران من (غفر الله لك) ، والكفران من (كفرتك) ، والفرقان من (فرّق الله بين الحق والباطل) [1].

أما تعريف القرآن في الاصطلاح فإن للعلماء صيغ متعددة في تعريفه، بعضها طويل وبعضها قصير. واختلاف هذه الصيغ بين العلماء هو ناتج عن الخصائص والأوصاف المتعددة التي امتاز بها القرآن الكريم. فكل عالم يعرف القرآن بذكر خاصية أو أكثر لا يذكرها العالم الآخر. فالإمام الزركشي يعرفه بقوله : " القرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز " [2]. ويقول فهد بن عبد الرحمن الرومي في تعريفه :" كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته " [3]. ومن بين التعاريف التي وردت في كتاب مناهل العرفان :" الكلام المعجز المنزل على النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته " [4].

وأعتقد أن هذه التعاريف عند التأمل فيها تجد أن المقصود واحد رغم اختلاف التعاريف.

ثانياً : مفهوم القراءات

القراءات لغة : جمع قراءة، وهي مصدر لفعل قرأ، يقال: قرأ فلان يقرأ قراءة. وقرأت الشيء أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض قال ابن منظور :" قَرَأَهُ يَقْرَؤُه ويَقْرُأُه قَرْءاً وقِرَاءَةً وقُرْآناً فهو مَقْرُوءٌ (..) ومعنى قرأت القرآن لفظت به مجموعاً أي ألقيته "[5].

وأما القراءات في الاصطلاح فقد اختلفت عبارات العلماء في تعريفها، ومن أبرز هذه التعاريف ما يلي :

. تعريف أبي حيان الأندلسي فقد عرفها بأنها : " علم يبحث فيه عن كيفي .ة النطق بألفاظ القرآن " [6].

. تعريف بدر الدين الزركشي ، قال : " القرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز ، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفياتها من تخفيف وتثقيل وغيرها " [7].

نشأة القراءات القرآنية :

ما السبب الذي أوجب أن يختلف القراء في قراءة القرآن على قراءات متعددة، وصل المتواتر منها إلى عشر قراءات على الأرجح ؟.

---

[1] هذا ما ذهب إليه بعض العلماء منهم :

_ شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في كتابه مجموع فتاوى ابن تيمية، كتاب مقدمة التفسير، جمع وترتيب المرحوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط_المغرب، ج 13 / ص 8.

_ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني،في كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق أحمد بن عليّ طبعة دار الحديث، القاهرة 1422 هـ / 2001م، ج 1 / ص 13.

[2] البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج 1 / ص 318.

[3] دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة التاسعة 1421 هـ / 2000م، ص 21.

[4] مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن عليّ، طبعة دار الحديث_ القاهرة 1422 هـ / 2001م، ج 1 / ص 17.

[5] لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مُكرَّم الأنصاري، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة، ج 5 / ص 3563.

[6] البحر المحيط لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الحياني الشهير بأبي حيان، الطبعة الأولى 1328 هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ص13.

[7] البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ج 1 / ص318.

إن القرآن أنزل بلحون قبائل العرب و لهجاتهم المختلفة .فكان كل واحد يقرؤه على عهد رسول الله ﷺ بلحن قومه،حتى إذا أنس أحدهم اختلافاً في قراءة، سمعها من إنسان عما أقرأه رسول الله ﷺ هرع إليه شاكيا فسمع الرسول ﷺ من كل واحد قراءته فأقره عليها. كما حَدَثَ لعمر بن الخطاب ﷺ مع هشام بن حكيم ﷺ. ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب قال :

(سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه) [1].

و كان هذا الاختلاف في القراءات القرآنية اختلاف تغاير وتنوع وليس اختلاف تضاد وتباين فإن هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى[2]، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [3].

ففي القرآن القراءة بالإمالة أو التفخيم، والقراءة بالمد أو القصر والقراءة بالهمز أو التسهيل ونحو ذلك من القراءات الثابتة المتواترة المسندة إسناداً صحيحاً على رسول الله ﷺ، "واندرجت هذه الوجوه الكثيرة في القراءة في تعبير (الأحرف السبعة) "[4] الواردة في الحديث السابق (إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه).

بهذه الوجوه في القراءة المتواترة عن رسول الله ﷺ تفرق الصحابة في الأمصار، فصار كل واحد يقرئ أهل بلده بما سمع، على لهجته فتعارف الناس على هذه الوجوه واللهجات ،ولكن لما امتد الزمان وكثر الآخذون عن الصحابة ووقع بين أتباعهم شيء من الخلاف والإنكار فخشي الصحابة مغبة هذا الخلاف، فأحلوا على خليفة المسلمين عثمان بن عفان ﷺ لتدارك هذا الأمر قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، وليقضي على احتمالات الفرقة في الأجيال القادمة. فدعا عثمان ﷺ زيد بن ثابت و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام رضي الله عنهم جميعاً على كتابه مصاحف يجتمع عليها القراء. وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :" إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا ذلك " [5]. ولغة قريش هي أفصح لغات العرب. "فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ﷺ كما صرح به خير واحد من أئمة السلف " [6]. ثم إن عثمان بن عفان ﷺ بعث المصاحف إلى الأمصار. وأمر ﷺ بترك القراءات التي لا

---

[1] صحيح البخاري، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، الحديث 4706، ج 4 / ص 1909.

[2] النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر، ج 1 / ص 49.

[3] سورة النساء، الآية 82.

[4] حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة 1418 هـ / 1997 م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص 8_9.

[5] صحيح البخاري، باب نزل القرآن بلسان قريش، الحديث3315، ج 3 / ص 1291.

[6] النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر، ج 1 / ص 8.

يتحملها الرسم العثماني. فكان هذا العمل خطوة مهمة نحو التوحيد وجمع الكلمة. وأرسل مع كل مصحف من يوافق قراءته في الأكثر الأغلب، وهذه القراءة قد تخالف الذائع الشائع في القطر الآخر عن طريق المبعوث الآخر بالمصحف الآخر لأن هذه المصاحف لم تكن منقوطة بالنقط ولا مضبوطة بالشكل، وأن صورة الكلمة فيها تحتمل أكثر من وجه.

وكان الاختلاف في القراءات القرآنية فيما يحتمله خط المصحف ورسمه.

معنى نزول القرآن على سبعة أحرف :

كما سبق في الحديث السابق الطويل أن رسول الله قال ﷺ (**إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه**). واختلف العلماء في معنى الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن. ذكر الإمام السيوطي مختلف أقوال العلماء في نزول القرآن على سبعة أحرف [1].

فذهب قوم إلى القول بأن (السبعة) غير مراد بها حقيقتها، أي عدد سبعة، وإنما يراد (بالسبعة) الكثرة. قال صاحب حجة القراءات بأن المراد " بها (أي السبعة) التعدد والكثرة لا تحديد العدد سبعة " [2]. ولكن الإمام السيوطي[3] يرد هذا القول بأحاديث الرسول ﷺ، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال (**أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**) [4]. وعن أبي بن كعب أن أن رسول الله ﷺ قال (**إن ربي أرسل إلي أن اقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثانية اقرأه على حرفين، فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة اقرأه على سبعة أحرف**) [5].

وذهب قوم إلى أن (السبعة) تدل عن إرادة حقيقة العدد وانحصاره. وأن لفظ (الحرف) يطلق على الوَجه.

والراجح في هذا المذهب ما قاله صاحب مناهل العرفان، حيث أورد الوجوه السبعة لأبي الفضل الرازي، مع التمثيل لكل وجه من الأحرف (الوجوه) السبعة، فقال :" الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف :

الأول : اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع وتذكير وتأنيث، كقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ [6]، فَقُرِئ ﴿ لِأَمَانَاتِهِمْ ﴾ بالجمع، وقُرِئ ﴿ لِأَمَانَتِهِمْ ﴾ بالإفراد.

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض، ومضارع، وأمر، كقوله تعالى : ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ [7]، فَقُرِئ ﴿ رَبَّنَا بَاعِدْ ﴾ فعل أمر بالألف، وقرئ ﴿ رَبُّنَا بَعَّدَ ﴾ فعل ماض مضعف العين.

الثالث : اختلاف وجوه الإعراب، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ [8]، فقُرِئ بفتح الراء

---

[1] الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة **1405** هـ / **1985**م، ج **1** / ص **130**.

[2] حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة **1418** هـ / **1997** م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص **9**.

[3] الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة **1405** هـ / **1985**م، ج **1** / ص **130**.

[4] صحيح البخاري، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، الحديث **4705**، ج **4** / ص **1909**.

[5] صحيح مسلم، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، الحديث **820**، ج **1** / ص **561**.

[6] سورة المومنون، الآية **8**.

[7] سورة سبأ، الآية **19**.

[8] سورة البقرة، الآية **282**.

﴿ يُضَارَّ ﴾، على أن (لا) ناهية، والفعل مجزوم بعدها. وقُرِئ بضم الراء ﴿ يُضَارُّ ﴾ على أن (لا) نافية، والفعل مرفوع بعدها. واختلاف وجوه الإعراب يكون في الاسم كما يكون في الفعل.

الرابع : الاختلاف بالنقص والزيادة، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ [1]، قُرِئ بهذا اللفظ، وقُرِئ أيضاً ﴿ وَالذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴾ بنقص كلمة ﴿ وَمَا خَلَقَ ﴾.

الخامس : الاختلاف بالتقديم والتأخير، كقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [2]، بتقديم الموت على الحق. وقُرِئ ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ﴾ بتقديم الحق على الموت.

السادس : الاختلاف بالإبدال، كقوله تعالى : ﴿ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ [3]، فقُرِئت بالراء ﴿ نُنشِرُهَا ﴾ أي كيف نحييها، وقُرِئت بالزاي ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ أي كيف نرفعها، والمراد بهما هي العظام [4].

السابع : اختلاف اللغات (أي اللهجات) كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإظهار والإدغام، ونحو ذلك، كقوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴾ [5]، تُقرَأ بالفتح والإمالة في لفظ ﴿أَتَاكَ﴾ ولفظ ﴿ مُوسَى ﴾ ، ولا فرق في هذا الوجه أيضاً بين الاسم والفعل.

وذهب أصحاب هذا القول، متأثرين بمذهبهم في معنى الحروف السبعة، إلى " أن المصاحب العثمانية مشتملة على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة فقط، جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمنة لها " [6]. بينما ذهب أصحاب قول أن (السبعة) مراد بها الكثرة لا العدد المعين، إلى " أن المصاحف العثمانية لم تشتمل إلا على حرف واحد من الحروف السبعة " [7].

ومما لا شك فيه أن الاختلاف في جملة القراءات كان في الأقل، وأما الاتفاق فهو في الأعم الأكثر. وأن نزول القرآن على سبعة أحرف هو رحمة بالعباد، وتيسير لكتاب الله على العباد.

أركـان القراءة الصحيحة :

وبعد المائة الأولى للهجرة نشأت ناشئة لم ترجع في قراءتها إلى أئمة المقرئين، والقراء الضابطين وإنما اكتفت بوجوه من القراءات لا توافق المصحف العثماني، فكثرت البدع والأهواء وانتشر الاختلاف وقل الائتلاف، فقام عند

---

[1] سورة الليل، الآية 3.

[2] سورة ق، الآية 19.

[3] سورة البقرة، الآية 259.

[4] حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة 1418 هـ / 1997 م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص 144.

[5] سورة طه، الآية 9.

[6] مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن عليّ، طبعة دار الحديث_ القاهرة 1422 هـ / 2001م، ج 1 / ص 146.

[7] نفس المرجع والصفحة.

ذلك جهابذة الأمة من العلماء، وصناديد الأئمة من القراء، فبالغوا في الاجتهاد، وميزوا بين الصحيح والشاذ، ووضعوا أركاناً تضبط وجوه قراءتهم. فانعقد إجماعهم على شروط ثلاثة تضبط القراءة الصحيحة المتواترة :

1 _ كل قراءة صح سندها بالتواتر إلى رسول الله ﷺ من أول السند إلى آخره.

2 _ كل قراءة وافقت أحد المصاحف العثمانية.

3 _ كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه.

وقد لخصها ابن الجزري بقوله :

فكل ما وافق وجه نحو ∴ وكان للرسم احتمالاً يحوي

وصح إسناداً هو القرآن ∴ فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختل ركن أثبت ∴ شذوذه لو أنه في السبعة

ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة [1].

عدد القراءات القرآنية :

وتزايد اهتمام أهل هذا الفن في جمع القراءات، فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب هو أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ)، وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً. ثم اختلف شيوخ هذا الفن من بعده في عدد هذه القراءات، إلى أن جاء أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت 324 هـ) فكان أول من اقتصر على قراءات سبعة فقط [2].

وقد انحصر توفر أركان القراءة الصحيحة في القراءات العشر المتواترة [3]، والتي تنسب كل قراءة فيها إلى إمام من أئمة القراءة، وهذه النسبة ليست نسبة اختراع وإيجاد ولكنها نسبة ملازمة وإتقان، ولكل قارئ راويان :

1. قراءة الإمام ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم نافع المدني (ت 169 هـ) : رواها عنه وَرش عثمان بن سعيد المصري (ت197 هـ) وقالون عيسى بن مينا (ت 220 هـ).
2. قراءة الإمام عبد الله بن كثير المكي (ت 120 هـ) : رواها عنه البزي أحمد بن عبد الله بن أبي بزة (ت 250 هـ) وقنبل محمد بن عبد الرحمن المكي (ت 291 هـ).
3. قراءة الإمام أبي عمر بن العلاء البصري (ت 154 هـ) : رواها عنه حفص بن عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي الضرير (ت 246 هـ) وصالح بن زياد السوسي (ت 261 هـ).
4. قراءة الإمام عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي (ت 118 هـ) : رواها عنه هشام بن عمار الدمشقي (ت 245 هـ) وعبد الله بن أحمد بن ذكوان (ت 242 هـ).

---

[1] النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، مطبعة دار الفكر للطباعة والنشر، ج 1 / ص 9.

[2] النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي، ج 1 / ص 34. حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة 1418 هـ / 1997 م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص 15_17.

[3] قال البعض إن القراءات المتواترة لا حد لها، فرد عليه محمد بن الجزري الدمشقي : إن أراد في زماننا فغير صحيح لأنه لا توجد قراءة متواترة وراء العشر، وأن أراد في الصدر الأول فمحتمل : غيث النفع في القراءات السبع لابن الجزري ص 7.

5. قراءة الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت 128 هـ) : رواها عنه شعبة أبو بكر بن عياش الكوفي (ت 193 هـ)، وحفص بن سليمان الأسدي الكوفي (ت 180 هـ).

6. قراءة الإمام حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت 156 هـ) : رواها عنه خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي (ت 229 هـ)، وخلاد أبو عيسى بن خالد الصيرفي الكوفي (ت 220 هـ).

7. قراءة الإمام علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189 هـ) : رواها عنه أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي (ت 240 هـ)، وحفص بن عمر الدوري رواي أبي عمر البصري (ت 246 هـ).

8. قراءة الإمام أبي جعفر يزيد بن القعقاع المدني (ت 130 هـ): رواها عنه عيسى بن وردان أبو الحارث الحذاء المدني (ت 160 هـ)، وسليمان بن مسلم بن جماز المدني (توفي بعد سنة 170 هـ).

9. قراءة الإمام يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري (ت 205 هـ): رواها عنه رُوَيْس محمد بن المتوكل البصري (ت 238 هـ)، ورَوْح أبو الحسن بن عبد المؤمن البصري (ت 234 هـ).

10. قراءة الإمام خلف بن هشام البزار الكوفي، راوية حمزة (ت 229 هـ): رواها عنه إسحاق بن إبراهيم بن عثمان الوراق البغدادي (ت 286 هـ)، وإدريس أبو الحسن بن عبد الكريم الحداد البغدادي (ت 292 هـ)[1].

والقراءة المعتمدة في المغرب الأقصى هي قراءة الإمام نافع، والرواية المُتَّعة هي رواية ورش. قال الإمام الطاهر بن عاشور :" والقراءات التي يقرأ بها اليوم في بلاد الإسلام من هذه القراءات العشر هي قراءة نافع برواية قالون في بعض القطر التونسي وبعض القطر المصري وفي ليبيا، وبرواية ورش في بعض القطر التونسي وبعض القطر المصري وفي جميع القطر الجزائري وجميع المغرب الأقصى وما يتبعه من البلاد السودان " [2]. ورواية ورش "هي الرواية التي ننشأ عليها ببلادنا ونتعلمها أولاً في المكتب" [3].

ومنذ دخول علم القراءات إلى المغرب اعتنى المغاربة به عناية فائقة، حيث توالت الدراسات القرآنية، وكثرت مدارسها، وتعددت مؤلفاتها.

فوائد اختلاف القراءات :

تعددت وتنوعت فوائد اختلاف القراءات، منها :

1) بيان لفظ مبهم، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ ﴾ [4]. قال ابن كثير :" وما هو على الغيب بظنين أي وما محمد على ما أنزله الله إليه بظنين أي بمتهم ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أي ببخيل بل يبذله لكل أحد قال سفيان

---

[1] النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي، ج 1 / ص 54_55. حجة القراءات للإمام الجليل أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق سعيد الأفغاني، الطبعة الخامسة 1418 هـ / 1997 م، مؤسسة الرسالة بيروت، ص 51_67. تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للطبع، ج 1 / ص 54.

[2] تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للطبع، ج 1 / ص 63.

[3] البحر المحيط لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الحياني الشهير بأبي حيان،الطبعة الأولى 1328 هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ج 1 / ص 11.

[4] سورة التكوير، الآية 24.

بن عيينة ظنين وضنين سواء أي ماهو بكاذب وما هو بفاجر والظنين المتهم والضنين البخيل (...) وكلاهما متواتر ومعناه صحيح " [1].

2) الجمع بين حكمين مختلفين، كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [2]. قال ابن خالويه: " قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾ يقرأ بالتشديد والتخفيف " [3]. قال الشيخ محمد الزرقاني :" ولا ريب أن صيغة التشديد تفيد وجوب المبالغة في طهر النساء من الحيض، لأن زيادة المبنى تدلُّ على زيادة المعنى، أما قراءة التخفيف فلا تفيد هذه المبالغة، ومجموع القراءتين يحكم بأمرين: أحدهما أن الحائض لا يقربها زوجها يحصل أصل الطهر، وذلك بانقطاع الحيض، وثانيهما أنها لا يقربها زوجها أيضاً إلا إذا بالغت في الطهر، وذلك بالاغتسال، فلا بد من الطهرين كليهما في قرب النساء " [4].

3) اختلاف الحكم الشرعي باختلاف القراءة، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ ﴾ [5]. قال ابن العربي المعافري :" وكذلك اختلفوا فيمن قتل صيداً هل عليه القيمة أم المِثْلُ من النعم ؟ لأجل اختلاف القراءات في قوله تعالى ﴿ فَجَزَاءٌ مِثْلُ ﴾ بإضافة الجزاء إلى المِثْلِ أو وضعه نعتاً له، فلم يَكُنْ بُدٌّ من معرفة القراءات واللغات وقانونها النحوي وتركيب الأحكام على ذلك " [6].

وفوائد تنوع القراءات كثيرة، منها ما في ذلك من عظيم البرهان، وواضح الدلالة، ونهاية البلاغة، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، وكمال الإعجاز، وبيان فضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم، ومنها إعظام أجور هذه الأمة وغيرها [7].

شبهات أثيرت حول القراءات :

ولقد جهد المبطلون والمغرضون وأعداء الإسلام من المستشرقين، والجهلة من أبناء المسلمين، منذ نزول القرآن، لإثارة الشبهات والشكوك حول القرآن الكريم، وفي تواتره وإجماع الأمة عليه، وفي نشأة القراءات، وفي اختلافها وتعددها، وفي صحتها وتواترها، وغيرها من الشبهات والاتهامات والشكوك والأباطيل. من تلك الشبهات :

. قالوا إن هناك تناقضاً بين قول الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [1] وبين أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف. قال الشيخ الزرقاني :" الاختلاف الذي تثبته تلك الأحاديث،

---

[1] تفسير ابن كثير، ج 4 / ص 481.

[2] سورة التكوير، الآية 24.

[3] الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى 1420 هـ / 1999 م، دار الكتب العلمية، بيروت_ بيروت، ص 43.

[4] مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن عليّ، طبعة دار الحديث_ القاهرة 1422 هـ / 2001م، ج 1 / ص 131.

[5] سورة المائدة، الآية 95.

[6] قانون التأويل للإمام القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي، تحقيق محمد السليماني، الطبعة الثالثة 1990، دار الغرب الإسلامي، بيروت_لبنان، ص 195.

[7] مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن عليّ، طبعة دار الحديث_ القاهرة 1422 هـ / 2001م، ج 1 / ص 130_132. النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي، ج 1 / ص 52_53.

غير الاختلاف الذي ينفيه القرآن (...) إن الأحاديث الشريفة تثبت الاختلاف بمعنى التنويع في طرق أداء القرآن والنطق بألفاظه في دائرة محدودة لا تعدو سبعة أحرف، وبشرط التلقي فيها كلها عن النبي ﷺ، أما القرآن فينفي الاختلاف بمعنى التناقض والتدافع بين معاني القرآن وتعاليمه " [2].

. قالوا إن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع المنقولة عن الأئمة السبعة. قال ابن الجزري وهو يرد هذه الشبهة :" فكيف يجوز أن يظن ظان أن هؤلاء السبعة المتأخرين قراءة كل واحد منهم أحد الحروف السبعة المنصوص عليها ؟ هذا تخلف عظيم أكان ذلك بِنَص من النبي ﷺ أم كيف ذلك ؟ وكيف يكون ذلك والكسائي إنما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون وغيره .. [3].

. قالوا إن نزول القرآن على سبعة أحرف ينافي ما هو مقرر من أن القرآن نزل بلغة قريش وحدها. وهذا يؤدي أيضاً إلى ضياع وحدة الأمة. وهذا مردود لأنه " لا منافاة ولا ضياع للوحدة، فإن الوجوه السبعة التي نزل بها القرآن واقعة كلها في لغة قريش، ذلك أن قريشاً كانوا قبل مهبط الوحي والتنزيل قد داوروا بينهم لغات العرب جميعاً وتداولوها .." [4].

. وهذا د. طه حسين ينكر تواتر القراءات وينعى على من رتب أحكاماً عريضة على نكرانها، لأنه يعتبر أن اختلاف اللهجات بين قبائل العرب هي مصدر اختلاف القراءات [5].

وحسبي هذه الأمثلة لأن المقام هنا لا يناسب استقصاء وتتبع كل الشبهات والشكوك التي أثيرت حول موضوع القراءات القرآنية.

التأليف في هذا العلم :

عرف هذا العلم مؤلفين أجلاء، تتابعت مصنفاتهم في علم القراءات القرآنية، أو في العلوم المرتبطة به والخادمة له، مثل اللغة العربية، منذ نهاية القرن الأول. وقد تتبع الدكتور عبد الهادي الفضلي من ألَّف في علم القراءات قبل اختيار ابن مجاهد للقراء السبعة، فبلغ عددهم عنده أربعة وأربعين مؤلفاً ابتداء من يحيى بن يعمر (ت 90 هـ)، وانتهاء بأبي بكر محمد بن أحمد الداجوني (ت 324 هـ) [6]. ثم توالت المؤلفات في هذا الفن، من أشهرها : كتاب التيسير لأبي عمرو عثمان الداني (ت 444 هـ)، وكتاب الشاطبية لأبي القاسم بن فيرة الأندلسي الشاطبي (ت 590 هـ)، وكتاب التبصرة لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيرواني الأندلسي (ت437 هـ)، وكتاب الكافي لأبي عبد الله بن شريح (ت 476 هـ)، وكتاب الهداية لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت بعد 430 هـ) [7]، وغيرها من كتب علم القراءات.

---

[1] سورة النساء، الآية 82.

[2] مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن عليّ، طبعة دار الحديث_ القاهرة 1422 هـ / 2001م، ج 1 / ص 158_ 159.

[3] النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي، ج 1 / ص 37.

[4] مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن عليّ، طبعة دار الحديث_ القاهرة 1422 هـ / 2001م، ج 1 / ص 162.

[5] في الأدب العربي لطه حسين، ص 95_96.

[6] القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادي الفضلي، ص 27– 32.

[7] النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي، ج 1 / ص 58– 70.

المصادر والمراجع :

1 – القرآن الكريم.

2– الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة 1405 هـ / 1985م.

3 – البحر المحيط لأبي عبد الله محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي الحياني الشهير بأبي حيان،الطبعة الأولى 1328 هـ، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر.

4 – البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله ال4زركشي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

5 – تفسير ابن كثير.

6 – تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للطبع.

7– جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى غلاييني، الطبعة الرابعة والعشرون 1413 هـ / 1993 م.

8 – الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى 1420 هـ / 1999 م، دار الكتب العلمية، بيروت_ بيروت.

9 – دراسات في علوم القرآن الكريم لفهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة التاسعة 1421 هـ / 2000م.

10– صحيح الإمام البخاري.

11– صحيح مسلم.

12– غيث النفع في القراءات السبع لابن الجزري.

13– في الأدب العربي لطه حسين.

14– القراءات القرآنية للدكتور عبد الهادي الفضلي.

15– قانون التأويل للإمام القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي، تحقيق محمد السليماني، الطبعة الثالثة 1990، دار الغرب الإسلامي، بيروت_لبنان.

16– لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مُكرَّم الأنصاري، طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلاً كاملاً ومذيلة بفهارس مفصلة.

17– مجموع فتاوى ابن تيمية للشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، كتاب مقدمة التفسير، جمع وترتيب المرحوم عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مكتبة المعارف، الرباط_المغرب.

18– مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق أحمد بن عليّ، طبعة دار الحديث_ القاهرة 1422 هـ / 2001م.

19– النشر في القراءات العشر لأبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، دار الكتاب العربي.